المحاججة اللغوية
في برهنة إعجاز لغة القرآن وهيمنتها على الرقي اللغوي الجاهلي
دراسة تحليلية

إعداد

الأستاذ المشارك الدكتور/ فليح مضحي السامرائي

كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية

الدكتور/ آماد كاظم البرواري

متخصص في علم الحجاج

جامعة زاخو – كردستان العراق

ملخص البحث:

يتلخص مضمون هذه الدراسة في بيان الرقي اللغوي للعصر الجاهلي، وإظهار الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم من خلال محاججة القرآن اللغوية لفطاحل شعراء العرب كلهم، مجتمعين على أن يأتوا بنسق لغوي مثل القرآن أو أقصر سورة مثله، وكان عجزهم إلزامًا لهم بالحجة العقلية والمنطقية. ويسعى البحث إلى إثبات صفوة القرآن وتفوقه على الفنون اللغوية جميعها، بعجز الخلق عن الإتيان بمثله؛ لغة وصياغة وأسلوبًا، بدءًا من العرب الأوائل، ومرورًا بعلماء البيان والبديع، ووصولًا إلى أصحاب الدراسات الحديثة.

الكلمات الدلالية:

القرآن، الاعجاز، الحِجاج، البرهنة، اللغة، البلاغة.

المقدمة

الحمد لله الذي خَصَّنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبي أُرسل، وجعلنا على المحجة البيضاء.

من خلال استقراء المؤرخين لتاريخ الأمم توصلوا إلى أن أغلب الأمم كانت تمتلك ثقافة وقيمًا ومعتقدات خاصة بها، وقد رصدوا أن الأمة العربية قبل ظهور الإسلام رغم جهلها بمعالم الوحي وانحرافها عن التوحيد، إلا أنها كانت تتمتع بالتنوع السياسي والاقتصادي والفنون اللغوية. وبالرغم من عدم وجود مخطوطات علمية ترجع للعصور الجاهلية إلا أن هنالك ما يدل على أنه كان لديهم علوم متوارثة في مجالات مختلفة. والحديث عن أحوال العرب قبل الإسلام فيه الكثير من التفاصيل التي يطول الحديث عنها، وليس هناك ما يبرر ذِكرها، لكن نرى أنه يتطلب المقام الاقتصار على أحوالهم الفكرية واللغوية؛ ليكون مدخلًا وتمهيدًا لفهم العقلية العربية قبل مجيء الإسلام، وبيانًا للتغير الجذري الطارئ عليهم بعد الإسلام.

أما من الناحية اللغوية، فكان العرب قد بلغوا القمة في الفنون اللغوية؛ خاصة القصائد الشعرية، وكان ذلك إرهاصًا وتمهيدًا لظهور تحدي القرآن اللغوي لهم؛ فالعرب في زمن البعثة كانوا قد برعوا في الفصاحة، وأبدعوا في البيان، وأجادوا في البلاغة حتى بلغوا ذروتها، فجاء التحدي من جنس ما يُتقنونه بحيث يتوافق مع مستواهم المعرفي؛ إذ تحداهم القرآن الكريم بما هم مُبدعون فيه؛ فطلب منهم الإتيان بقرآن مثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة مثله؛ فعجزوا عن مجاراته، فكان ذلك دليلًا قطعيًّا صريحًا على صدق الرسالة. ولا يزال التحدي قائمًا به.

وبعد أن تقدم العالم ماديًّا، وظهرت مدنيات ومذاهب فكرية معاصرة؛ تجلت في القرآن الكريم أضرب أخرى من المعجزات؛ منها: الإعجاز التشريعي والكوني والعلمي... إلخ، وهذا يدل على أنَّ العلم مهما تقدم فلا يزيد القرآن إلا رسوخًا في الإعجاز، وشاء الله أن يجعل

سلطان الإعجاز من أظهر الحجج على إحقاق الحق، وإبطال الباطل. وحسب ما يرى الباحثان أن يتم تقسيم الدراسة على ثلاثة مباحث، واشتمل كل مبحث على مطالب عدة:

المبحث الأول: البنية المعرفية اللغوية في العصر الجاهلي، واشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العصر الجاهلي من الناحية الفكرية والعقدية.

المطلب الثاني: حالة العرب اللغوية قبل الإسلام.

المطلب الثالث: مقاربة معرفية بين فنون العرب اللغوية وإعجاز القرآن اللغوي.

المبحث الثاني: البنية الإعجازية للغة القرآن الكريم، واحتوى هذا المبحث أربعة مطالب:

المطلب الأول: مدخل إلى فهم الإعجاز وبيان أنواعه.

المطلب الثاني: البنية المعرفية للمحاججة اللغوية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: علم الإعجاز، نشأته، مصنفاته.

المطلب الرابع: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: هيمنة النص القرآني المعجز على الشعر والكلام البليغ:

المطلب الأول: هيمنة النص المعجز على الشعر.

المطلب الثاني: هيمنة النص المعجز على الكلام البليغ.

مشكلة البحث:

يعد الخوض في قضية الاحتجاج والمحاججة التي ساقها القرآن الكريم- من أدلة منطقية لا تَقبل الجدال ضد المشككين والمشركين- هي إشكالية بحد ذاتها؛ لما فيها من أدلة يصعب فهمها على كثير من المتلقين للقرآن الكريم، وكيف قدم القرآن- من خلال أسلوبه المعجز بقوة المنطق والحجة والدليل الملزم للخصوم- هذه الأدلة متحديًا بها العقول، ومعجزًا لهم، فالتحدي جاء على قدر المكانة اللغوية التي كان عليها العرب قبل الإسلام، وعلى هذا ستتم

المعالجة لظاهرة المحاججة بأدلتها التي تُعد إشكالية هذا البحث.

أسئلة البحث:

من خلال الإشكالية نستطيع أن نطرح الأسئلة التالية:

١- ما البنية المعرفية اللغوية التي كان عليها العرب في العصر الجاهلي؟

٢- كيف كانت البنية الإعجازية للغة القرآن الكريم؟

٣- ما علم الإعجاز؟ وما أوجه ذلك الإعجاز؟

أهداف البحث:

١- الكشف عن البنية المعرفية اللغوية للعرب قبل الإسلام.

٢- الوقوف على مكانة البنية الإيقاعية اللغوية للقرآن الكريم.

٣- التعريف بعلم الإعجاز وأوجهه، وما أنتجه العلماء بهذا المجال.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في برهنة إعجاز لغة القرآن بقوة المنطق والدليل الملزم للخصم بالحجة؛ وتظهر ثمرة الإعجاز في كونه يخاطب العقل ويحاجج الخصم بمعاير عقلية مسلَّمة، كما هو واضح من محاججة القرآن للمشركين بمقتضى عقولهم؛ إذ تحداهم بما هم مقتنعون به، ولما كانوا في ذروة الفنون اللغوية تحداهم بالفنون اللغوية نفسها، فكان سكوتهم دليلًا عقليًّا على عجزهم عن منافسة أسلوب القرآن، وأنه كلام خارج عن قدرة البشر. ولهذا استحسن العلماء الكتابة في هذا العلم، وسَعوا إلى تجديده واستنباط وجوه جديدة تتناسب مع معطيات عصورهم. وبما أننا أمة دعوة فيجب أن ندعو بالحكمة- كما أمرنا الله- ومن الحكمة: أن نحاجج الخصم وندعو المخالف إلى التصديق بالقرآن بأدلة يقينية ملزمة له، ومنها الحِجاج بالإعجاز القرآني بأنواعه كافة؛ كي يَهلك مَن هلك عن بينة ويَحيى مَن حيَّ عن بينة.

مصطلحات البحث:

ورد في هذا البحث ثلاثة مصطلحات أساسية: (**الإعجاز، والحِجاج، والنظم**). وقد تم التعريف بمصطلح الإعجاز في مظانه من البحث.

أما مصطلح الحجاج[١]، فيُقصد به: الإتيان بمجموعة من الحجج المختلفة لمحاججة المخالف بطريقة عقلية تداولية، واستخدام كل وسيلة من وسائل الإقناع عدا العنف والإكراه؛ لبرهنة قضية ما أو تفنيدها. والحجاج أعم من الجدال؛ لأنه يشمل الخطاب أيضًا.

ومصطلح النظم(:[٢]) فيقصد به: التأليف في الكلام في العملية اللغوية؛ ليصبح حسنًا، وذلك بضم الكلمات بعضها إلى بعض والتوليف بينها بصورة محكمة، تتناسب مع مقتضى الحال.

الدراسات السابقة:

١- **معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة– السور السبع الطوال أنموذجًا**. رسالة ماجستير قَدَّمها الباحث: سعيد فاهم إلى جامعة مولود معمري في الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بإشراف د. السعيد حاوزة، سنة ٢٠١١م. وتنقسم هذه الدراسة إلى بابين؛ فأما الباب الأول فكان عن مفهوم الحجاج ودلالاته، واحتوى على فصلين، خصص الأول منهما لبيان مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحًا، في حين دُرس في الفصل الثاني المصطلحات الواردة في عنون البحث. أما الباب الثاني فكان عن معاني ألفاظ الحجاج في السبع الطوال وسياقاتها المختلفة، واشتمل على فصلين تناول الباحث في الأول منهما سياقات مادة: (ح ج ج) في القرآن الكريم، وتعرض في الفصل الثاني إلى دراسة سياقات ألفاظ الحجاج. وتختلف هذه الرسالة عن دراستنا من حيث كونها مخصصة لبيان مفهوم الحجاج ودلالاته وسياقاته في القرآن

(١) لسان الميزان والتكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٩، ص:٢٢٦.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١، ص:٤٢.

الكريم، وتحليل الآيات التي تناولت لفظة الحجاج، أما دراستنا فهي مخصصة لبرهنة الاعجاز لغة القرآني وهيمنة أسلوبه على أساليب شعراء العرب وأُدبائهم وبُلغائهم.

٢- **الحجاج في خطابات النبي إبراهيم (عليه السلام)**. رسالة ماجستير قدمتها الباحثة: سعدية لكحل، إلى جامعة مولود معمري في الجزائر، كلية الآداب واللغات، بإشراف أ. د. آمنة بلعلي. إذ طفقت الباحثة رسالتها بكتابة مدخل تناولت فيه دراسة مفهوم الحجاج مع الجدال، ومفهوم الحجاج مع البرهان، ومفهوم الحجاج مع المناظرة. وقسمت بحثها على فصلين، رصدت في الفصل الأول التواصل الحجاجي في الخطاب القرآني مبينةً العملية التواصلية في الخطاب القرآني، ووضعيات التواصل في خطابات إبراهيم (عليه السلام)، وكذلك تعرضت لبيان مدلول الحجاج في الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. أما الفصل الثاني فخصصته لتناول الاستراتيجية الحجاجية لخطابات إبراهيم (عليه السلام)، وقسمتها على ثلاثة أنواع؛ الأول: خطاب التعارض الحجاجي. والثاني: الحجاج بالاستدراج. والثالث: الحجاج بالمناظرة والتمثيل.

والفرق بين هذه الدراسة ودارستنا تكمن في أن هذه الرسالة أُعِدَّت للكشف عن العملية التواصلية الحجاجية في الخطابات القرآنية، ولاستقراء المواضع والآيات التي وردت فيها خطابات إبراهيم (عليه السلام) ومحاججته لخصومه، وتحليليها ببيان استراتيجية الحجاجية لخطاباته (عليه السلام). أما دراستنا فمخصصة لدراسة مظان المحاججة اللغوية في القرآن الكريم.

٣- **آليات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء أنموذجًا)، دراسة حجاجية**. رسالة ماجستير قدمها الباحث: هشام بالخير، إلى جامعة الحاج خضر في الجزائر، كلية الآداب واللغات، بإشراف: د. مُحَمَّد بو عمامة، سنة ٢٠١٢م.

افتتح الباحث دراسته بكتابة مدخل تعرض فيه لبيان مفهوم التداولية والحجاج،

وأسباب ظهورها، وبيان أهم قضاياها. وقسم دراسته على فصلين، خصص الفصل الأول للدراسة النظرية، وركز فيه على دراسة مصطلحي الإقناع والخطاب القرآني وبيان علاقتهما بالحجاج. وقد أعدَّ الفصل الثاني للدراسة التطبيقية متخذًا من سورة الحجرات أنموذجًا لدراسته، وتعرض فيه لدراسة تحليلية للآليات اللغوية والبلاغية وشبه المنطقية.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي من حيث إنها خصصت لدراسة مفهوم الإقناع والخطاب وبيان علاقتهما بالحجاج، واقتصرت على سورة الشعراء في الجانب التطبيقي مركزةً على آليات الإقناع في الخطاب القرآني. أما دراستي فمخصصة لإقناع الخصوم بالحجاج اللغوي.

٤- (**الحجاج في النص القرآني "سورة الأنبياء نموذجًا**()[١])، وهو بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية في كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر– باتنة– الجزائر، إعداد الطالبة/ إيمان درنوني، وبينت الطالبة في رسالتها أهمية الحجاج مشيرة إلى أن الحجاج تعود أهميته إلى ما أسمته الباحثة بـ"البلاغة الجديدة"؛ إذ أشارت إلى جانبين في ذلك، هما: البيان والحجاج كوسيلتين أساسيتين للإقناع، ثم تناولت المسار التاريخي للحجاج، ثم جاء الفصل الأول من الدراسة عن الحجاج في الدرس اللساني التداولي؛ لتكشف الباحثة من خلالها علاقة البلاغة الحجاجية وعلاقتها بالتداولية، أما الفصل الثاني فكان عن آليات الحجاج في القرآن الكريم؛ إذ تناولت الدراسة دلالة الحجاج في القرآن كالجدل والمناظرة، ثم الآليات الحجاجية كاللغوية والبلاغية. أما الفصل الثالث والأخير من الرسالة فقد كان عن آليات الحجاج في سورة الأنبياء؛ إذ طبقت الباحثة

(١) ... http://mohamedrabeea.net/library/pdf/٦e٧٢a٢٥١-b٩٨٤-٤٢d٩-aa٨٤-٣٧cb٦٧d٠eeb٣.pdf

الآليات الحجاجية على سورة الأنبياء، والمدقق في البحث يظهر له الفارق جليًّا بين الدراسة هذه والدراسة الحالية.

٥- (**البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجًا" لـ د. عبد الحليم بن عيسى**()[١])، تقديم عبد الرحمن الشهري؛ إذ أشار الباحث إلى آلية البحث عندما قال: "بحثنا يتناول آلية من آليات البيان في الإعجاز القرآني، تتعلّق بـ"الحجاج"؛ فالقرآن خطاب حِجاجي، موجّه في أساسه للتأثير على آراء المخاطبين وسلوكياتهم، واستمالة العقول، وتوجيه النفوس. ولذلك وظَّف الكثير من الأساليب الحِجاجيّة التي تؤمِّن له هذه الغايات[٢]، ثم تطرق الباحث إلى موضوع "البيان وأنماطه"، وكذلك "مفهوم الحِجاج في الدرس اللغوي"، ثم تناول في مبحث آخر البيان "الحِجاجي في الاستعمال اللغوي"، وعرج الباحث في موقع آخر من البحث على "البيان الحجاجي في القرآن الكريم"، ثم أجرى تطبيقًا للمحاججة على سورة الأنبياء، وقدم الباحث نماذج عن البيان الحِجاجي في هذه السورة، والقارئ يلحظ الفرق بين هذه الدراسة والدراسة الحالية من حيث المضمون على أقل تقدير.

٦- (**المحاججة بمفهومها القرآني**)، للباحث الدكتور آماد كاظم البرواري[٣]، منشورة على الشبكة العنكبوتية، وعلى الرغم من قصر المقال المنشور إلا أن الباحث أوضح فيه بفقرات موجزة قضية المحاججة مركزًا فيها على قضية أساسية: هي قضية تقديم الأدلة

(١) نشر هذا المقال في مجلة التراث العربي العدد ١٠٢ أبريل ٢٠٠٦، ص٣٣.
(٢) https://vb.tafsir.net/tafsir١٨٢٠٢/#.WycEb٩L-idE
(٣) https://blogs.aljazeera.net/blogs/٢٠١٧/٧/٢٧/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥٪D٨٪AD%D٨٪A٧٪D٨٪AC%D٨٪AC%D٨٪A٩-%D٨٪A٨٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨١٪D٩٪٨٧٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٧٪D٨٪A٧-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٢٪D٨٪B١٪D٨٪A٢٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨A

المنطقية على الحجاج ودلالته في القرآن الكريم، والتي أثبت الباحث فيها أن القرآن الكريم دعا إلى الحوار والخطاب الذي يُراد به إبانة الحقائق الإيمانية، وبلاغتها الإقناعية، والمقال يتقارب مع هذه الدراسة من حيث الغاية والهدف، لكنه يختلف عنها من حيث السعة والشمول، فالدراسة الحالية أكثر شمولًا وتوسعًا.

منهج البحث:

استخدم الباحثان منهج الحِجاج اللغوي والعقدي بطريقة تحليلية، فهو الأنسب في مثل هذه الدراسات التي تتطلب تقديم الأدلة على المحاججة، ولم يغفلا عن المناهج الأخرى التي قد يحتاجها البحث في بعض الأحيان؛ كالمنهج الاستقرائي والاستنباطي وغيره.

حدود البحث:

هذه الدراسة مختصة بالمحاججة اللغوية فحسب في برهنة إعجاز لغة القرآن وهيمنتها على الرقي اللغوي الجاهلي، وتفنيد الشبهات المثارة حوله. أي: أنها في حدود المحاججة اللغوية فحسب.

إجراءات البحث:

ستكون إجراءات الدراسة على وفق ما يلي:

– جمع المعلومات: حيث يتم جمع المعلومات من المصادر والمراجع حول مصطلح المحاججة والحجاج في مختلف صورها، وجمع ودراسة كل ما كتب عن المصطلح، بالإضافة إلى جمع كل ما ساقه القرآن الكريم من أدلة منطقية لا تقبل الجدال ضد المشككين والمشركين، وهي إشكالية بحد ذاتها؛ لما فيها من أدلة يصعب فهمها عند كثير من المتلقين للقرآن الكريم، وتمكن الباحثان من الإجابة على أسئلة البحث.

– بما أن طبيعة الدراسة الحالية "المحاججة اللغوية في برهنة إعجاز لغة القرآن وهيمنتها على الرقي اللغوي الجاهلي"– تتطلب من الباحثين توضيح كيف قدم القرآن– من خلال أسلوبه المعجز بقوة المنطق والحجة والدليل الملزم للخصوم– هذه الأدلة متحديًا بها العقول،

ومعجزًا لها، فالتحدي جاء على قدر المكانة اللغوية التي كان عليها العرب قبل الإسلام، وعلى هذا ستتم المعالجة لظاهرة المحاججة، بأدلتها التي تُعد إشكالية هذه الدراسة.

– توثيق المراجع: فقد اتبع الباحثان في الدراسة أساليب البحث العلمي فيما يتعلق بالتوثيق من المصادر الأصلية من كتب السنة المعتمدة والكتب المحققة.

المبحث الأول

البنية المعرفية اللغوية في العصر الجاهلي

المطلب الأول: العصر الجاهلي من الناحية الفكرية والعقدية:

حينما نتأمل في أحوال العرب من الناحية الفكرية والعقدية في تلك الحقبة الزمنية التي سبقت البعثة النبوية المباركة نرى أن العرب، وإن بقيت فيهم بقايا دين إبراهيم (عليه السلام)؛ مثل الحج وتعظيم البيت والطواف به، إلا أنهم قد انحرفوا عن دين التوحيد الذي جاء به إبراهيم (عليه السلام)؛ إذ عكفوا على عبادة الاصنام والشرك بالله، وقد كان في مكة وحدها ثلاثمائة وستون صنمًا منثورًا حول الكعبة؛ حيث كان لكل قبيلة أو عشيرة عربية صنمها الخاص بها. ومن العادات التي كانت شائعة بين العرب: التطير والتشاؤم، فإذا أراد أحدهم الإقدام على زواج أو تجارة أو سفر كان يتطير طائرًا، فإذا ذهب في الجهة اليمنى كان في اعتقاده خيرا؛ فيمضي في تنفيذ شأنه الذي تطيَّر فيه، أما إذا ذهب الطير في جهة الشمال كان في اعتقاده شرًّا، ولذلك كان يترك فعل الشيء الذي تطير من أجله. وكانوا يتشاءمون: فإذا سمع أحدهم صوت بومة، أو رأى غرابًا: ضاق صدره، واعتقد أنه سيصيبه ضرر أو أذى في يومه، وكانوا لا يتزوجون في شوال؛ اعتقادًا منهم بأنه لن يكتب له النجاح[1].

وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بأهل فترة[2]، إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ

(١) ينظر: الرحيق المختوم، المباركفوري: ٣٠-٣٣.

(٢) يُطلق مصطلح أهل الفترة على الأمم التي عاشت في زمن لم يأتهم فيه رسول، أي: عاشت في الفترة التي وقعت بين رسولين؛ لم يُرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني، أو كانوا في مكان لم تَصلهم فيه الدعوة، أو وصلت إليهم على حال لا تقوم عليهم الحجة ومَن في حكمهم. ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة، فإنما يقصدون الفترة التي بين عيسى (عليه السلام) ومحمد (عليه السلام) . ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦هـ) : ٣/ ٤٠٨.

رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة:١٩] (المائدة:١٩)، أي: أنهم كانوا في زمن انقطع فيه الرسل، فكان اعتقادهم خليطًا من الوثنية الوافدة من الشام[١] والأحكام القبلية العصبية، بيَّن ذلك الله تعالى بقوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ [يونس:١٨].

المطلب الثاني: حالة العرب اللغوية قبل الإسلام:

ذكرنا– فيما سبق– أن العرب رغم جهلهم بأصول التوحيد وانحرافهم عن معالم الوحي الإلهي إلا أنهم كانوا ذو ثقافة عالية في اللغة؛ فقد بلغوا ذروة البلاغة وأعلى درجات الفصاحة قبل ظهور الاسلام، وقد مر تطورهم اللغوي بأدوار عدة من نشوء اللغة الأدبية وتهذيبها وتنقيحها وابتداع أغراض أدبية، الى أن بلغ القمة من حيث البلاغة الخطابية ومحاسن الألفاظ وبديع الأساليب. وانقسمت جهودهم الأدبية بين الشعر والنثر.

أولًا: الشعر في العصر الجاهلي:

فن الشعر من أشهر الفنون الأدبية وأكثرها انتشارًا، فهو الصورة التعبيرية الأدبية الأولى التي ظهرت في حياة الإنسان؛ فكان يصور به الشاعر أحاسيسه وعواطفه معتمدًا على موسيقى الكلمات والخيال والعاطفة. وتميز الشعر الجاهلي بالوزن والقافية، فضلًا عن الجرس الموسيقي والإبداع في التوصيف والتصوير[٢].

(١) حين قدم عمرو بن لحي بلاد الشام، فرآهم يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، استحسن ذلك وظنه حقًّا، وكانت الشام آنذاك محل الرسل والكتب السماوية، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نَعبدها؛ فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أَلا تعطوني منها صنمًا؛ فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ وهكذا صار الشرك وعبادة الاصنام أكبر مظهر من مظاهر دين الجاهلية، ولم تزل تلك الأصنام تُعبد من دون الله، حتى جاء الإسلام وقضى عليها كلها. ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:١١/ ٧٦.

(٢) ينظر: الأدب وفنونه– دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل: ٧٥.

لقد نظم الأدباءُ الشعرَ في موضوعات الحياة المختلفة، وثمة أغراض كثيرة متنوعة في الشعر الجاهلي، نذكر أبرزها:

١- الفخر والحماسة: الفخر والحماسة شَمِلَا الفخر بالشجاعة والكرم والصدق والعفاف والفخر بالنفس والفخر بالقبيلة، فقد كان الشعراء يتجارون في مدح القبائل بقصائد فيها نوع من المبالغة. أما الحماسة (في الجاهلية) فهي الشعر المتحدث عن تشجيع أفراد القبيلة لقتال العدو، وهو يمثل حقيقة الصراع القبلي على أرض الجزيرة، وما يحدث من وقائع بين تلك القبائل.

٢- الغزل: وهو الشعر الذي يهتم بوصف المرأة المحبوبة المعشوقة.

٣- الرثاء: وهو الشعر الذي يذكر صفات الموتى الحميدة مقرونة بالحزن والأسى على افتقاده، ومن أبرز مميزاته: صدق العاطفة، ورقة الإحساس، والبعد عن التهويل والكذب والصبر والجَلَد.

٤- الهجاء: فن يعبر فيه صاحبه عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص يبغضه أو طائفة معادية له، ويَكثر أثناء الحروب والمنازعات والعصبيات القبلية.

٥- الوصف: لقد تأثر شعراء الجاهلية بكل ما حولهم؛ فوصفوا كل شيء تقع عليه أعينهم من الطبيعة الخضراء والصحراء والجبال والحيوانات؛ كالإبل والخيل، وامتاز الوصف في الشعر الجاهلي بالطّابع الحسي، ودقّة الملاحظة، وصدق النظرة[١].

وقد اتسم الشعر الجاهلي بخصائص من أهمها: أنها كانت تميل إلى الخشونة والفخامة، وخالية من الأخطاء والألفاظ الأعجميَّة، وتخلو من الزخارف والتكلّف والمحسّنات المصنوعة، وتميل إلى الإيجاز. هذا من ناحية اللفظ، أما الخصائص المعنوية؛ فإنها كانت تخلو من المبالغة، وبعيدة عن التعقيد، وغالبًا تقوم على وحدة البيت، ومنتزعة من البيئة البدوية، وفيها

(١) ينظر: الكتاب: تاريخ آداب العرب، مصطفى عبد الرزاق: ٣/ ٥١- ٧٠.

"الاستطراد."[١].

ثانيًا: النثر في العصر الجاهلي:

النثر هو الصورة الفنية الثانية من صور التعبير الفني، وهو لون الكلام الذي لا تقيده قيود من أوزان أو قافية. ومن أشهر ألوان النثر الجاهلي:

١- الخطابة. ٢- القصص. ٣- الأمثال. ٤- الحكم. ٥- الوصايا. ٦- النثر المسجوع.

ومن أهم خصائص هذا الفن هي: وضوح المعاني وأصالتها، وجزالة الألفاظ وخشونتها، وصحة التراكيب، والاهتمام بالمحسنات البديعية وخاصة السجع، والتنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي، وجودة الصورة بحيث تم تصوير البيئة الجاهلية تصويرًا دقيقًا[٢].

المطلب الثالث: مقاربة معرفية بين فنون العرب اللغوية وإعجاز القرآن اللغوي:

بعد هذا العرض الموجز عن حالة العرب اللغوية قبل الإسلام نستنتج أن فنون اللغوية كانت من أرقى فنون عصر الجاهلي، فكان ذلك إرهاصًا وتمهيدًا لظهور القرآن الكريم، وهذه قضية مهمة للتأمل فيها، وذلك لأن الرقي اللغوي الذي أبدعته فطاحل أدباء العرب وقف عاجزًا أمام لغة القرآن الكريم المعجز للشعراء والأدباء عن مجاراته. وشاء الله أن يجعل سلطان الإعجاز من أظهر الحجج على إحقاق الحق، وإبطال الباطل؛ إذ برهنت معجزات الأنبياء (عليهم السلام) صِدق رسالاتهم، وأعجزت خصومهم عن التحدي وألزمتهم الحجة، وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يُساند كل نبيٍّ بمعجزة حسيةٍ تتشابه وأرقى فنون عصره، وتتناسب مع مدة رسالته. ولما كان المصريون بارعون في السحر، وذاع صيتهم فيه أيَّد الله سبحانه وتعالى موسى (عليه السلام) بالعصا واليد البيضاء في مواجهة سحرة فرعون؛ فكانت النتيجة إخضاع السحرة للحقيقة المعجزة، وسجودهم لله بعد أن تيقنوا عجزهم عن التصدي.

(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف: ٢١٩- ٢٢٦.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف: ٣٩٨- ٤١٢.

وكذلك بعدما شاع الطب اليوناني واشتهر في زمن السيد المسيح (عليه السلام) أيده الله تعالى بمعجزة تفوق الطب؛ إذ أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بمشيئة الله تعالى؛ فألزمهم الحجة، إلا أن تلك المعجزات كانت صالحة لمدة زمنية محددة، وقد زالت بزوال أيامها وموت شاهديها.

أما معجزة القرآن الكريم فقد شاء الله لحكمة جليلة أن يختم الرسالات السماوية بها، وكتب لها الخلود، وجعل معجزاته متعددة ومتجددة، وماضية إلى قيام الساعة؛ بحيث تتناسب كل معجزة مع تحديات حقبة زمنية. فالعرب في زمن البعثة كانوا قد برعوا في الفصاحة، وأبدعوا في البيان، وأجادوا في البلاغة حتى بلغوا ذروتها، فجاء التحدي من جنس ما يتقنونه بحيث يتوافق مع مستواهم المعرفي؛ إذ تحداهم القرآن الكريم بما هم مبدعون فيه، فطلب منهم الإتيان بقرآن مثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله؛ فعجزوا عن مجاراته، فكان ذلك دليلًا قطعيًّا صريحًا على صدق الرسالة. ولا يزال التحدي قائمًا به، وبعد أن تقدم العالم ماديًّا وظهرت مدنيات ومذاهب فكرية معاصرة؛ تجلت في القرآن الكريم أضرب أخرى من المعجزات؛ منها: الإعجاز التشريعي والكوني والعِلمي... إلخ، وهذا يدل على أنَّ العلم مهما تقدم فلا يزيد القرآن إلا رسوخًا في الإعجاز[1].

وهكذا تسمو أوجه معجزات القرآن على معجزات الكتب السماوية الأخرى؛ إذ تتميز معجزات القرآن بوصفها تتجدد في كل حقبة زمنية بما تتناسب وتحدي المرحلة، وبكونها رسالة عالمية خالدة غير محددة بجنس أو مكان أو زمان. ويختلف القرآن عن الرسائل الأخرى باحتوائه على تشريع سمح صالح لكل زمان ومكان، ومنسجم مع الفطرة البشرية، ومتفوق عليها بامتلاكه الحقائق الأساسية في الكون كله، وبكونه مصون بحفظ الله من التحريف والتبديل.

المبحث الثاني: البنية الإعجازية للغة القرآن الكريم

(١) ينظر: المكتوبات، سعيد النورسي: ٢٢٥.

المطلب الأول: مدخل الى فهم الإعجاز، وبيان أنواعه:

التعريف اللغوي والاصطلاحي للفظة (المعجزة):

التعريف اللغوي: جذر اللفظة (ع ج ز)، وقد وردت مشتقات هذا الجذر بمعان عدة في المعاجم العربية، هي:

أولًا: أمرٌ معجز ومعجزة، أي: يعجز البشر أن يأتوا بمثله. والتعجيز: بمعنى التثبيط والنسبة إلى العجز.

ثانيًا: العَجْز: التأخر عن الشيء، وهو ضد القدرة، والعجوز سُمِّيت بذلك؛ لعجزه، أي: ضعفه وعدم قدرته في كثير من الأمور.

ثالثًا: المعجزة: هو اسم فاعل من الإعجاز، ومعناه ما أُعجِزَ به الخصم عند التحدي، والتاء للمبالغة، كما في قولهم: داعية، وعلَّامة، ورحَّالة، وجمعها: معجزات.

رابعًا: الإعجاز: الفوت والسَّبق، يقال: أعجزني فلان، أي: فاتني. وأعجزت فلان وعجَّزته وعاجزته، أي: جعلته عاجزًا[1].

التعريف الاصطلاحي للمعجزة: أَمْرٌ خارج عن حدود الأسباب المعروفة، خارِقٌ للعادَةِ، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضَةِ؛ يُظهِرها اللهُ على يدِ مُدَّعي النبوة عند دعواه إياها شاهدًا على صدقه[2].

يفهم من التعريف: أنه لا بد من توفر أربعة شروط في المعجزة، وهي:

أولًا: أن تظهر على يد نبي من أنبياء الله مصدقًا لدعواه.

ثانيًا: أن تكون أمرًا خارقًا للعادة خارجًا عن حدود الطبيعة.

ثالثًا: أن تكون مقرونة بتحدي الخصوم وإثبات عجزهم.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الهروي: ١/ ٢١٩– ٢٢٠، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس الرازي: ٤/ ٢٣٢– ٢٣٣، لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٢٨١٧.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٤/ ٣، مناهل العرفان، الزرقاني: ١/ ٦٣.

رابعًا: أن تكون سالمة عن المعارضة، أي: الإتيان بمثلها.

فلابد من توفر هذه الشروط مجتمعة في الأمر المعجز، فإن اختل شرط منها خرجت عن كونها معجزة.

الآيات (المعجزات) نوعان:

١- **معجزة حسية:** هي المعجزة التي تدرك بالحواس، وتشاهد بالعيان، وهي مخصصة بوقت محدد تزول بزوال أيامها وموت شاهديها، كما هو الحال في معجزات أنبياء السابقين (عليهم السلام)، فموسى (عليه السلام) أيَّده الله بتحويل العصا الى ثعبان، وعيسى (عليه السلام) أيده الله تعالى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، وكذلك بعض ما وقع للرسول (ﷺ)؛ كنبع الماء من أصابعه، وتكثير الطعام، وغيرها. وهذه المعجزات لا تكون حجة إلا على من شاهدها، أو نقلت إليه بالتواتر القطعي.

٢- **معجزة عقلية (معنوية):** وهي المعجزة التي تدرك بالعقل والبصيرة، وهي معجزة القرآن الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخًا في الإعجاز، وهي عامة ومستمرة إلى يوم القيامة، والقرآن الكريم خَرَقَ العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالغيبيات؛ فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون؛ ليدل على صحة دعواه. وهكذا قضت حكمة الله تعالى البالغة أن تكون معجزة الإسلام باقية إلى جانبه تؤيده وتُعززه إلى قيام الساعة حتى لا يكون لأحد عُذر في ترك هذا الدين الخاتم، الذي هو خاتمة الأديان والشرائع[١]).

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٤/ ٣. والمعجزة الكبرى القرآن، مُحَمَّد أبو زهرة: ٨- ١٧.

المطلب الثاني: البنية المعرفية للمحاججة اللغوية في القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم جمع السلاسة الرائقة، والسلامة الفائقة، والتساند المتين، والتناسب الرصين، والتعاون بين الجمل وهيئاتها، والتجاوب بين الآيات ومقاصدها، بشهادة علم البيان وعلم المعاني، مع أنَّه نزل في أكثر من عشرين سنة متفرقًا في أماكن مختلفة، ولأسباب نزول متباينة. وجاء بيانًا لحوادث وأحكام متعددة متغايرة إلا أنه متكامل من حيث الفصاحة والتناسق والتناسب بين الآيات والسور كأنه نزل دفعة واحدة. وقد خاطب أصنافًا متعددة، وطبقات متفاوتة، وطبائع متغايرة، مع ذلك يظن كل صنف أنه مخاطب بالأصالة؛ لسهولة بيانه، وجزالة نظامه، ووضوح مقاصده. ونزل مرشدًا لغايات سامية بمنهجية علمية متدرجة متفاوتة مع كمال الاستقامة والموازنة والنظام كأن المقصد واحد. وهذا برهان جلي على أن القرآن الكريم يراعي الكائنات كلها ظاهرًا وباطنًا كصحيفة مبصرة واضحة يقلِّبها كيف يشاء، فيعرِّف معانيها على ما يشاء[1]. وهذا الرقي البلاغي أجبر أحد زعماء المشركين وأشدهم عداوة للإسلام؛ الوليد بن المغيرة– للاعتراف بإعجاز فصاحة القرآن وبيانه؛ إذ قال بعد ما سمعه: "والله إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر"، ثم قال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجِن، والله ما يُشبه هذا الذي يقول شيئًا من هذا، والله... إنَّه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته"[2].

وكان من حكمة الله تعالى أن يؤيد نبيَّه الأميَّ (عليه الصلاة والسلام) ببراهين قطعية تأييدًا لدعواه، ولإزالة الحيرة عن عقول المخاطبين، ودفعهم إلى التسليم والإقرار. ومن تلك

(١) ينظر: المثنوي العربي، النوري النورسي: ٩١– ٩٢.

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، البيهقي: ٢٦٨، وينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي: ١٩٨.

البراهين: لغة القرآن الكريم؛ إذ فاق أسلوبه ما تميز به العرب من فنون لغوية، ويتجلى ذلك في تحدي القرآن لهم بصور مختلفة، كما هو جلي من آيات التحدي الخمسة، وهي كالآتي بحسب ترتيب رسم القرآن:

١- ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٣] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٤].

٢- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس:٣٨].

٣- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود:١٣].

٤- ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

٥- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الطور:٣٣] ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور:٣٤].

وقد استنبط كثير من العلماء من الآيات السابقة: أن التحدي وقع في ثلاث مراحل متتالية؛ إذ تحداهم بالإتيان بقرآن مثله فعجزوا، فتحداهم بعشر سور فعجزوا، فتحداهم بسورة واحدة فعجزوا(١).

لكن نرى أن مراحل التحدي التي ذكرت تقتضي أن تتوافق مع ترتيب آيات التحدي في النزول، وإن لم توافقها في رسم المصحف. وقد اختلف العلماء في ذلك، واعتمد كل فريق

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢- ٩٢، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٤/ ٤، مناهل العرفان: الزرقاني: ٢/ ٢٦٠.

على أدلة ظنية. ومن هنا ظهر رأي آخر، وهو أن التحدي بالنوع لا بالمقدار، وقد تبنى هذا الرأي سيد قطب مؤكدًا بأن التحدي بسورة واحدة في سورة يونس مقدم في النزول على التحدي بعشر سور في سورة هود. وقد علل ذلك بأن القرآن الكريم معجزة بالنوع لا بالمقدار، فقليله وكثيره سواء في التحدي؛ إذ قال: "وإن التحدي كان يلاحظ حالة القائلين وظروف القول؛ لأن القرآن كان يواجه حالات واقعة محددة مواجهة واقعة محددة. فيقول مرة: ائتوا بمثل هذا القرآن، أو ائتوا بسورة، أو بعشر سور، دون ترتيب زمني؛ لأن الغرض كان هو التحدي في ذاته بالنسبة لأي شيء من هذا القرآن كله أو بعضه أو سورة منه على السواء. فالتحدي كان بنوع هذا القرآن لا بمقداره، والعجز كان عن النوع لا عن المقدار. وعندئذ يستوي الكل والبعض والسورة، ولا يلزم ترتيب. إنما هو مقتضى الحالة التي يكون عليها المخاطبون، ونوع ما يقولون عن هذا القرآن في هذه الحالة. فهو الذي يجعل من المناسب أن يقال: سورة أو عشر سور أو هذا القرآن"(١).

وفي ضوء ما تقدم، فإن الكل متفقون استنادًا على ما تواتر من الروايات: أن العرب عجزوا عن المعارضة، ولم يثبت أن ادعى أحد منهم أنه أتى بمثل القرآن، أو بعشر سور مفتريات، أو بسورة واحدة في مقام التحدي.

ونستنتج مما سبق أن عجز العرب كلهم– علمائهم وشعرائهم، مُجتمعين ومتفرقين– عن صياغة سورة واحدة تشبه سورة قرآنية من الوجوه جميعها، وعدم محاولتهم؛ دليلٌ قطعي على أن القرآن الكريم ولغته معجزة خارقة تفوق طاقتهم، وإلا لما فضلوا المقارعة بالسيوف على المواجهة بالحروف. وهذا ما استفهم العلامة سعيد النورسي عنه استفهامًا إنكاريًّا؛ إذ قال: "هل يمكن لعاقل فطن– ولا سيما أهل الجزيرة العربية ولا سيما قريش الأذكياء– أن يعرِّض نفسه وماله وأهله للخطر، ويختار طريق الحرب والدمار، إن كان باستطاعته سلوك طريق المعارضة ولو بسورة من القرآن من أديب منهم، فينقذ نفسه وماله من التحدي القرآني، إن

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٤/ ١٨٦١– ١٨٦٢.

كان إتيان مثله سهلًا ميسورًا؟"[١]. لكن عزة الإثم منعتهم من الإيمان بعدما أدركوا يقينًا أنَّه من الله سبحانه وتعالى، وأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله أو بمثل أقصر سورة منه.

أولًا: نشأة علم الاعجاز:

من خلال استقرائنا توصلنا إلى أن مصطلح الإعجاز لم يَرد في القرآن ولا في السنة النبوية بهذا اللفظ؛ بل ورد بألفاظ أخرى قريبة من هذه الدلالة، وهي: (الآية، والبينة، والسلطان، والبرهان)، وأنها أتت لإثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين، وليس إرغامهم على الإيمان[٢]. وقد ظهر مصطلح الإعجاز في القرن الثالث الهجري، وشاع واشتهر في القرن الرابع الهجري، ولا زال يُتداول ويستخدم الى يومنا هذا، وقد اقترن بالإعجاز مصطلح (التحدي)[٣]، وذلك لأن التحدي من لوازم الإعجاز كما بيَّنا في التعريف. وهذا يعني أن مقدمات هذا العلم كانت موجودة في القرآن الكريم والسنة، وقد تناولها الصحابة (رضوان الله عليهم)، أمَّا جمعه وتدوينه بوصفه علمًا مستقلًّا في مصنفات خاصة، فقد جرى ذلك في القرن الثالث الهجري على يد أبي عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في كتابه "نظم القرآن"، وكان من أبرز المؤلفين في عصره وأكثرهم شهرة. ثم جاء بعده أبو عبد الله؛ مُحَمَّد بن يزيد البسطامي (٣٠٦هـ)، فألَّف كتابًا وَسَمَه بـ(إعجاز القران في نَظمه وتأليفه)، وهو أول مَن استعمل مصطلح الإعجاز دليلًا على مؤلفه، بحسب ما توصل إليه عدد من الباحثين[٤].

(١) المكتوبات، النورسي : ٢٢٧.

(٢) وردت لفظة (الآية) بمعنى: المعجزة في سورة الأنعام، (الآية: ١٠٩) ، ووردت لفظة (البينة) بمعنى: البرهان والمعجزة في سورة هود، (الآية: ٥٣) ، ووردت لفظة (السلطان) بمعنى: الحجة القاهرة الدامغة في سورة إبراهيم، (الآية: ١٠) ، ووردت لفظة (البرهان) بمعنى الحجة القاطعة في سورة القصص: (الآية: ٣٢) . ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٢/ ١٦٥.

(٣) يقصد بالتحدي: أن تفعل فعلًا، ثم تطالب خصمك بأن يبذل غاية جهده لمعارضته أو الإتيان بمثله، وأنت تعلم مسبقًا عدم قدرته على ذلك، طالبًا بذلك إظهار عجزه وضعفه. ينظر: مداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر: ٢٢.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي: ١٥٢.

ثم اشتهر هذا العلم وانتشر، واستحسنه كثير من العلماء لأهميته في الدعوة وضرورته في إقامة الحجة على المخالف؛ فألفوا في ذلك كتبًا مختصة، وتوسعوا فيها، واستنبطوا وجوهًا جديدةً لإعجاز القرآن، وقَسَّموها على أنواع عدة، كما سنوضحه فيما يأتي.

ثانيًا: مصنفات في علم الإعجاز:

دعت الحاجة وفق متطلبات العصر الى ظهور علوم إسلامية جديدة لم تكن معهودة في عهد الصحابة والتابعين؛ منها علوم القرآن والعلوم اللغوية، وقد أسهم علماء العقيدة والتفسير واللغة في وضع النواة الأساس والقواعد العامة لعلم الإعجاز، وقد ظهرت مقدمات الكتابة فيه في بداية القرن الثالث الهجري على يد علماء اللغة والتفسير على شكل أبحاث مجزأة في مصنفاتهم، ثم تطورت الكتابة فيه إلى أن صار علمًا مستقلًّا مدونًا في كتب خاصة.

وقد مرت مصنفاته بمراحل عدة:

– في القرن الثالث الهجري تَمَّ تأليف كتابين، وكلاهما مفقودان، وهما:

"نظم القرآن"، للجاحظ (ت٢٥٥هـ).

"إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه"، لأبي عبد الله؛ مُحَمَّد بن يزيد الواسطي (ت٣٠٦هـ).

– في القرن الرابع الهجري أُلِّفت فيه كتب عدة منها:

"النكت في إعجاز القرآن"، لأبي حسن؛ علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ).

"بيان إعجاز القرآن"، لأبي سليمان؛ حمد بن مُحَمَّد الخطابي (ت٣٨٦هـ).

"إعجاز القرآن"، للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ).

– وفي القرن الخامس الهجري ظهرت كتبٌ جديدة في الإعجاز، وأبرز مَن كتب فيه عبدُ القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)؛ إذ جَدَّد في صياغة الإعجاز من خلال كتابيه: "دلائل الإعجاز". ٢– "الرسالة الشافية".

ثم استمرت جهود العلماء في التأليف حول الإعجاز وأوجهه، وقد فَصَّلوا فيه واستنبطوا أوجهًا جديدة في الإعجاز. وقد تم تجديد قضية الإعجاز في العصر الحديث على يد عدد

من العلماء، منهم: مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، وسعيد النورسي في كتابه (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)، وقد ظهرت في العصر الحديث أوجه إعجازية أخرى استجابة لتحديات الواقع؛ كالإعجاز التشريعي والعِلمي والنفسي(١).

المطلب الرابع: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم:

استنبط العلماء المتقدمون ثلاثة أوجه إعجازية من القرآن الكريم، هي: ١- الإعجاز بالمعاني والتشريع. ٢-الإعجاز بأخبار الغيب. ٣- الإعجاز باللغة والنظم.

وقد اختزل الخطابيُّ الإعجازَ في ثلاثة أوجه:

- النَّظم، وعد هذا الوجه شاملًا للقرآن كله، وقد فضله على سائر الأوجه.
- الإخبار عن الغيب، وعَدَّ هذا القسم مقصورًا على بعض المواضع في القرآن الكريم.
- التأثير في النفوس، ولعله أول مَن ذكر هذا الوجه، ثم اشتهر بعده بالإعجاز النفسي أو التأثيري.

ثم توسع العلماء في استنباط الأوجه الإعجازية من القرآن الكريم، وقد أضاف الإمام أبو بكر الباقلاني وجهًا آخر وهو أُمِّيَّة الرسول؛ إذ قال: "إنه كان معلومًا من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أميًّا لا يَكتب ولا يُحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفًا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئًا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجمل ما وقع، وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير، من حين خلقَ الله آدم عليه السلام إلى حين مَبعثه"(٢).ثم أتي الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) بوجه جديد لم يُسبق إليه، مضمونه: أن القرآن احتوى الإشارة إلى مجمل العلوم الكونية. واشتهر هذا الوجه في العصر الحديث بالإعجاز العلمي(٣).

(١) ينظر: لغة القرآن الكريم- دراسة توثيقية: ١٨٥- ١٨٦، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي: ١٠٦.

) (٢) إعجاز القرآن، الباقلاني: ٣٤.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٢٨٩.

وقد أفاض فيها الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"؛ فاستنبط خمسة وثلاثين وجهًا من وجوه الإعجاز[1]).

وقد أوصلها سعيد النورسي في "رسائله" إلى أربعين وجهًا[2]).

وهكذا تتعدد أوجه الإعجاز في كتاب الله بتعدد جوانب النظر فيه. لكن من خلال استقرائنا لتلكم الوجوه وجدنا أن الوجوه التي ذكرها العلماء المتأخرون ليست مخالفة للعلماء المتقدمين؛ بل هي مُفَصِّلة لما أجمله المتقدمون، وهي تقسيمات جزئية يمكن إدراجها في أوجه رئيسة كلية، وقد ارتأينا أن نجمعها في أوجه رئيسة، هي:

١- الإعجاز اللغوي. ٢- الإعجاز البياني. ٣-الإعجاز البلاغي. ٤- الإعجاز النظمي والأسلوبي. ٥-الإعجاز الغيبي. ٦- الإعجاز التشريعي. ٧- الإعجاز التربوي الاجتماعي. ٨- الإعجاز النفسي (التأثيري). ٩- الإعجاز العِلمي.

وقد وضع العلماء ثلاثة شروط لكل وجه إعجازي للتحقق منه، وللابتعاد عن الإفراط في التأويل المذموم، وهي: ١- أن يَستحسنها البلاغة. ٢- أن يستصوبها علم اللغة العربية. ٣- أن تليق بسر التشريع[3].

ويظهر مما سبق أنه لا يمكن استنباط المعنى من اللفظ ذاته خارجًا عن السياق؛ بل لا بد من وضعه في سياق معين، ثم التنسيق بين دلالته ودلالة بقية الألفاظ بناءً على الأغراض البلاغية المستوحاة من أسلوب التقديم والتأخير، والوقف والوصل، والإيجاز والتفصيل، واللف والنشر، وغيرها من الأساليب، وذلك لأن المعاني هي المقصودة في إحداث النظم، وما الألفاظ إلا وسيلة للإفصاح عنها.

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: ١/ ١٢- ٣٨٠.

(٢) ينظر: الكلمات، النورسي: ٥١٠- ٥١٥، المكتوبات، النورسي: ٥١٣، اللمعات، النورسي: ٤٦.

(٣) ينظر: الكلمات، النورسي: ٨٦٨.

المبحث الثالث

هيمنة النص القرآني المعجز على الشعر والنص البليغ

المطلب الأول: هيمنة النص المعجز على الشعر:

من خلال البحث في التفاسير اللغوية وكتب الإعجاز نرى أن ثمة علاقة تأثر وتأثير بين الدراسات القرآنية والدراسات اللغوية، فلا يمكن التعمق في دراسة النص القرآني وفهم أسراره إلا بالتعمق في دراسة اللغة العربية ونحوها وصرفها وبلاغتها. وكذلك الحال بالنسبة للدراسات الأدبية الشعرية والنثرية، فهي– أيضًا– لها علاقة وثيقة بالدراسات اللغوية. وللتمييز بين لغة القرآن ولغة الشعر والنثر لا بد من التعمق في علوم اللغوية والدلالية؛ لتكون تلك العلوم حكمًا بين الأسلوبين؛ القرآني والأدبي.

والقرآن هو نَسَق لغوي جديد، وقد أضاف نزوله قسمًا لغويًّا ثالثًا للغة العربية، فضلًا عن قِسمي: الشعر والنثر، فهو ليس بشعر إذ لم يتقيد بقيود الشعر، ولا بنثر؛ لأنه مقيَّد بقيود خاصَّة به لا تُوجد في غيره؛ فقد نفى القرآن الكريم صفة الشاعرية عنه؛ ذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠]﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [الحاقة: ٤١]﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الحاقة:٤٢]، ونفى شعراء العرب أنفسهم تلك الصفة عنه، فقد قال الوليد بن المغيرة– أحد زعماء الكفر في مكة مجيبًا لقريش في شأن القرآن–: "ما فيكم رجل أعلم مني بالشعر ولا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله مُحَمَّد شيئًا مِن هذا، واللهِ إنَّ لقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمنير أعلاه، مشرق أسفله, وإنه ليَعلو ولا يُعلى، وإنَّه ليَحطم ما تحته"[(١)].

فثبت أن القرآن– في أسلوبه وطريقة أدائه ومبناه الكلي– مخالف لكلام العرب، ومتميز

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، البيهقي: ٢٦٨، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي: ١٩٨.

عنه، وإن كانت لغته من جنس لغة العرب، إلَّا أن له أثرًا فريدًا من جهة النظم والتأليف، لا يمكن منافسته؛ لارتباطه بالإعجاز الذي وقع به التحدي.

وقد ذكر عيسى بن علي الرماني (ت٣٨٦ هـ) أن القرآن جاء بأسلوب جديد؛ إذ قال: "وأما نقض العادة، فإنَّ العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة؛ منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخُطَب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآنُ بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحُسن تَفوق كل طريقة"(١).

وحينما نتأمل في الشعر نرى أنه كلام موزون مُقَفَّى مقصود، أي: قصد الشاعر أن يضع له وزنًا وقافيةً في بداية إنشاء البيت الواحد، ويخضع لقواعد علم العروض، ويصاغ على بحر من بحور العرب الشعرية، في حين أن أسلوب القرآن مختلف كليًّا عن ذلك، ولا يخضع لأي قاعدة أو بحر.

"أما ما وُجِد في القرآن مما صورته صورة الموزون، فالجواب عنه: أن ذلك لا يسمى شعرًا؛ لأن شرط الشعر القصد، ولو كان شعرًا لكان كلُّ مَن اتفق له في كلامه شيء موزون شاعرًا؛ فكان الناس كلهم شعراء؛ لأنه قَلَّ أن يخلو كلام أحد عن ذلك، وقد ورد ذلك على ألسنة الفصحاء، فلو اعتقدوه شعرًا لبادروا إلى معارضته والطعن عليه؛ لأنهم كانوا أحرص شيء على ذلك، وإنما يقع ذلك؛ لبلوغ الكلام الغاية القصوى في الانسجام"(٢).

ونرى أن القرآن غايته هداية الناس إلى الحق بطريق المحاججة العقلية والعلمية، والاستدلال بتصوير عظمة الله من خلال مخلوقاته، ووصف قدرته وعدله في البيئة، في حين أنَّ الشعر مجرد خيالات وهمية للشاعر يصف بها حالته النفسية النابعة من أحاسيسه الخاصة. وقد بين

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني: ١١١.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٤/ ٢٢.

ذلك الإمام السيوطي قائلا: "الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون– مع أنَّ الشعر الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره–: أن القرآن منبع الحق، ومجمع الصدق، وقُصارى أمر الشاعر: التخييل بتصور الباطل في صورة الحق، والإفراط في الإطراء، والمبالغة في الذم دون إظهار الحق وإثبات الصدق، ولهذا نَزَّه الله نبيه (ﷺ) عنه"(١).

ونرى أن الشعر انفعال، وتعبير عن هذا الانفعال. والانفعال يتقلب من حال إلى حال. والقرآن وحي رباني صادر من حكيم عليم خبير يتميز بالحكمة والرؤية المستنيرة يتبع ناموس الله الثابت الذي يَحكم الوجود كله، ولا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء الطارئة مثل تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة التي لا تَثبت على حال.

وكذلك نرى أن الشعر– في أعلى صوره– أشواق نابعة من النفس الإنسانية إلى الجمال والكمال مَشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته، أما القرآن الكريم فوحي من الله، واتصال دائم بالله، ومحاولة دائمة لردِّ الحياة إلى الله. وهو في صميمها هداية تتنزل من السماء. فالفرق بين القرآن والشعر هو مِثل الفرق بين مَصدريهما السماء والأرض(٢).

فتبين مما سبق: أن القرآن كلام الله الأزلي المعجز، أحكم آياته، وهو قسم خاص لا يُشبه الشعر والنثر، ولا يشبهانه؛ لأن محاكاة لغة الشعر وأسلوبه من الممكنات العقلية والواقعية، في حين أن محاكاة أسلوب القرآن أمر متعذر، ثم إنه لو كان القرآن مثل الشعر لما عجز بلغاء العرب وفصحاؤهم عن محاكاته؛ فقد تحداهم الله تعالى بالإتيان بأقصر سورة من مثله، ولا يزال التحدي قائمًا، فلو كان القرآن مثل الشعر لكان بإمكانهم أن يأتوا بمثله، وعجزهم دليل

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٤/ ٢٢.

) (٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٥/ ٢٩٧٥.

عقلي على إعجاز لغة القرآن وهيمنته على أسلوب الشعراء.

المطلب الثاني: هيمنة النص المعجز على الكلام البليغ:

يمكن التمييز بين النص القرآني المعجز ونصوص البلغاء من خلال أمور عدة، وسنركز على جانبين؛ المعنوي والأسلوبي:

الفرق بين النص المعجز والكلام البليغ من حيث المعنى:

القرآن الكريم: هو كلام الله الأزلي المعجز المحيط بكل شيء علمًا والمنزه عن الخطأ، وقد قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٢].

أما كلام البغاء فإنهم يَبنون الكلام على أساس ما يتصورونه من معان في أذهانهم؛ فيُرَكِّبون الكلام على أساس تصورهم للواقع، ولا يخفى أن التصور يحتمل الخطأ والصواب؛ لأنه مكتسب ومَبني على ما يحصل في الذهن من العلم ودرجة التخيل.

ومن الواضح في علم النحو: أنه لا يمكن إدراك المعنى من النصوص؛ سواء الآيات القرآنية أو الكلام المنظوم والمنثور، إلا بفهم علاقة الكلمات المكونة لكل منها بعضها ببعض، فمفهوم كل كلمة على حدة لا يمكن أن يُعطي معنى يمكن السكوت عليه، ولا يبين المعنى المقصود من الآية القرآنية أو النصوص الأدبية، ولهذا فإن المعول عليه في ذلك هو علاقة كل كلمة من الكلمات المكونة للنظم بما بعدها وما قبلها، وتفاعل كل كلمة مع أخواتها تفاعلًا لا يسمح بوجود معنى عند ابتعاد الواحدة عن الأُخرى[1]. ويظهر مما سبق: أن نظم القرآن محكم ودقيق، وليس فيه أي خلل في تركيب الجمل، أو تنسيق الكلمات فيها بشهادة بلغاء المشركين كما نَوَّهنا إليه، وهذا ما يُسَهِّل للمتلقي استنباط المعاني منه وفهم مراده، بخلاف أسلوب البلغاء؛ فهو جهد بشري قائم على التصور، ناقص متأثر ببيئة معينة، وبحالة نفسية خاصة كما ذكرنا، وهذا ما يُصَعِّب على المتلقي استنباط المعاني منه والوقوف على مراده.

الفرق بين النص المعجز والكلام البليغ من حيث الأسلوب:

(١) ينظر: أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن بالرأي: ٢٩.

رصد العَلَّامة سعيد النورسي قضية الأسلوبية في دراسته لإعجاز القرآن الكريم؛ فتوصل بالحجج البرهانية إلى أنَّ أسلوب القرآن الكريم فريد من نوعه، وأعلى من أن يقارن بأيِّ سلوب آخر، وأنه الرائد الكامل المطلق لطبقات أهل البلاغة والفصاحة؛ لأنه لم يُقَلِّد أحدًا قط، ولا يمكن لأحد أن يقلده أبدًا. وأن أساليبه بديعة من حيث الجمال الفني، ومؤثِّرة من حيث الإقناع، وقد حافظ على طراوة أساليبه وشبابيته، وما يزال يحافظ عليها مثلما نزل، وأن لأسلوبه جامعية عجيبة، حتى إن سورة واحدة تتضمن المقاصد الكلية للقرآن العظيم، وأن آية واحدة تضم خزينة تلك السورة، أي: أن مقاصده موجودة بإيجاز معجز في كل سورة من سوره، فكل سورة في حُكم قرآن صغير؛ بل كل آية طويلة في مقام سورة قصيرة، وإن آياته جامعة بدلالاتها وإشاراتها لأنواع الكلام والمعارف الحقيقية والحاجات البشرية؛ كالأمر والنهي، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والزجر والإرشاد، والقصص والأمثال، والأحكام والمعارف الإلهية، والعلوم الكونية، وقوانين الحياة الشخصية والاجتماعية والمعنوية(١).

ونحن نرى أن أسلوب القرآن يمتاز بوحدة بنائية متكاملة، ومن أهم خصائصه: أنه يفسر بعضه بعضًا، فما أُجمل في موضع لحكمة بلاغية فُصِّل في موضع آخر لحكمة تقتضي التفصيل، وما أُطلق في موضع قُيِّد في موضع آخر باتحاد الحكم والسبب، وما ورد بصيغة العموم في موضع فقد تَمَّ تخصصيه في آيات أخرى بمخصصات تصرف الألفاظ العامة عن عمومها، وتخرج بعض ما كان داخلًا في العموم وتقصر الحكم على الباقي. وجُلُّ أسلوبه ظني الدلالة أي حَمَّال لأوجه متعددة في وقت واحد مع مراعاة مستويات المخاطبين وأحوالهم. ويدل على معنى المراد بمنطوقه تارة وبمفهومه أخرى، والمفهوم قد يكون أدنى من المنطوق أو مساويًا له أو أعلى منه، وهو أسلوب متماسك متجانس خال من التناقض، مع أنه نزل في

(١) ينظر: الكلمات، النورسي: ٤٣٠، ٤٥٧، ٤٥٨.

ثلاث وعشرين سنة، ويظهر فيه من الانسجام الكامل والاتحاد التام كأنه نزل دفعة واحدة ولحادثة واحدة.

وإذا قمنا باستقراء نظم القرآن المعجز وأساليبه ومعانيه وقارناه بالأسلوب العربي سنجد فرقا شاسعًا؛ بحيث نجزم بأنَّ لكل منهما طابعه الخاص البعيد كل البعد عن الآخر. فسنجد من ناحية سبك العبارات: أن النص المعجز قد اختار من الألفاظ أفصحها وأيسرها على اللسان، وأسهلها على الأفهام، وأقواها تأثيرًا على القلوب، وأوفاها تأدية للمعاني؛ بحيث اجتمع فيه الجمال والكمال اللغوي، وامتاز عن غيره من الأساليب بثلاث سماتٍ رئيسة:

الأولى: جمال وقعه في السمع.

الثانية: انسجامه الكامل في المعنى.

الثالثة: اتساع دلالته لما لا تتسع له عادة دلالات الألفاظ الأخرى.

وقد نجد هذه السمات الثلاثة في بعض الأساليب الأدبية، ولكنها لا تجتمع كلها في أسلوب أديب، ولو اجتمعت لا تطَّرد في جميع كلامه؛ بل لا بُدَّ أن يشذَّ لفظ عن دائرة الفصاحة، أو يتنافر مع غيره في التركيب، أو يقصر عن أداء المعنى المراد إبرازه، أو لا يكون له من الجمال ما يُثير الإعجاب، أو يَبعث في النفوس الرغبة المِلحَّة في القراءة أو في السماع؛ بل نجده هو أسلوب التخاطب العادي المألوف بين العرب في بيانهم وأحاديثهم ومحاوراتهم وحكمهم وأحكامهم ووصاياهم ونصائحهم[1].

فضلًا عما سبق نرى أن النص البليغ مهما تمتع بجمالية الأسلوب، فستجد فيه تكلفًا لصالح العبارة على حساب المعنى المراد، وكذلك تجد فيه صلاحية لزمن محدد وبيئة معينة؛ لأن الكاتب قد خاطب أشخاصًا مُعينين في بيئة معينة، وكذلك تجد تباينًا مع مرور الزمن، وكثيرًا ما رأينا مؤلفين تراجعوا عن أفكارٍ قد تبنوها سابقًا، أو جَدَّدوا أفكارهم بإعادة

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل : ٣٣٠- ٣٣١.

صياغتها بما يتناسب مع مستوى المخاطبين.

الخاتمة

بعد هذا المجهود الفكري واللغوي بين حِقبتين متتابعتين من حقب التاريخ تَوَصَّلنا إلى النتائج الآتية:

أن العرب قبل البعثة– رغم جهلهم الديني وانحرافهم العقدي– إلا أنهم كانوا يتمتعون بالتنوع الثقافي والسياسي والرقي المعرفي في فنون اللغة والشعر والخطابة؛ فقد برعوا في الفصاحة، وأبدعوا في البيان، وأجادوا في البلاغة حتى بلغوا ذروتها.

أن أقوى المعجزات في تحدي الخصم وإلزام الحجة عليه– هي المعجزة التي تتشابه وأرقى فنون العصر، وقد تحدى القرآن الكريم العرب بالفنون اللغوية التي برعوا فيها، فعَجز علماؤهم وشعراؤهم مجتمعين ومتفرقين عن صياغة سورة واحدة تُشبه سورة قرآنية من الوجوه جميعها، وعدم محاولتهم حجة برهانية قطعية على أن القرآن الكريم رسالة سماوية، ولغته معجزة خارقة تفوق طاقتهم.

أن الإعجاز حجة عقلية ملزمة للخصوم؛ لكونه أمرًا خارقًا، ومقرونة بالتحدي، وسالمة عن المعارضة، ومختصة بالنبوة لإظهار صِدق دعواه، وإلزام عقول المخاطبين للتصديق به.

أن القرآن الكريم معجزة بحد ذاته؛ في لغته وبلاغته وفصاحته وأسلوبه، وأن نظمه وبلاغته تفوق قدرة العرب، وأن الإتيان بمثله لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين.

الإعجاز له أوجه رئيسة تندرج تحتها أوجه فرعية، ولا بد أن يكون الوجه الإعجازي مما يستحسنه البلاغة، ويستصوبه علم اللغة العربية، وأن تليق بسر التشريع.

أن الفرق بين الإعجاز اللغوي للقرآن وبلاغة الشعراء: هو كمال اللغة القرآنية، وتنزيهها عن النقص، وصلاحية أسلوب القرآن لكل زمان ومكان، ومخاطبته جميع طبقات البشر، بخلاف الشعر الجاهلي الذي يَعتريه النقص والغموض.

المصادر والمراجع

- **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م).
- **إحياء علوم الدين**: أبو حامد؛ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).
- **الأدب وفنونه–** دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، (بيروت: دار الفكر العربي، د. ت).
- **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ط٦، ٢٠١١م).
- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، البيهقي، أحمد بن حسين الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د. ت).
- **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، بنت الشاطئ، عائشة مُحَمَّد علي عبد الرحمن (ت ١٤١٩هـ)، (بيروت: دار المعارف، ط٣، د. ت).
- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٨، ٢٠٠٥م).
- **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي؛ مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة ودار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧).
- **تاريخ آداب العرب**، مصطفى عبد الرزاق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت).

- **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي**، أحمد شوقي، الشهير بشوقي ضيف (ت: ١٤٢٦هـ)، (القاهرة: دار المعارف، د. ت).
- **تهذيب اللغة، أبو منصور**؛ مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، البيهقي؛ أحمد بن حسين الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، ١٩٨٨م).
- **الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢).
- **في ظلال القرآن**، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، (القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ).
- **الكلمات، سعيد النورسي**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ط٦. ٢٠١١م).
- **لسان العرب، ابن منظور**؛ مُحَمَّد بن مكرم بن على الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، (القاهرة: دار المعارف، د. ت).
- **لسان الميزان والتكوثر العقلي**، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٩.
- **لغة القرآن الكريم– دراسة توثيقية**، أحمد عمر مختار، (الكويت: مؤسسة كويت للتقدم العلمي، ط٢ ،١٩٩٧).

- **اللمعات، سعيد النورسي،** ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ط٦. ٢٠١١م).
- **المثنوي العربي النوري، سعيد النورسي،** ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ط٦، ٢٠١١م).
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل،** النسفي، أبو البركات؛ عبد الله بن أحمد (ت: ٧١٠هـ)، ١٤١٩هـ- تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م).
- **مدخل إلى إعجاز القرآن،** محمود أحمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، ٢٠٠٢م).
- **معترك الأقران في إعجاز القرآن،** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، (القاهرة: دار الفكر العربي. د. ت).
- **المعجزة الكبرى القرآن،** أبو زهرة، مُحَمَّد بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ)، بيروت: دار الفكر العربي، د. ت).
- **معجم مقاييس اللغة، ابن فارس،** أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩).
- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،** جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ)، (بيروت: دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م).
- **المكتوبات، سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ط٦. ٢٠١١م).**
- **مناهل العرفان، الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، تحقيق:** فواز أحمد زمرلي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٥م).
- **النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مجد الدين بن مُحَمَّد الجزري (ت: ٦٠٦هـ)،** تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود مُحَمَّد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م).

References

١. **Al'iitqan Fi Eulum Alqurani**, Abdulrahman bin Abi Bakr As-Suyuti (D. ٩١١ AH), Edited by: Muhamad Abu Alfadhl Ibrahim, Cairo: Alhayi'ah Almassriah Aleamah Lil Kitab, ١٩٧٤).

٢. **'Iihya' Eulum Ad-Din**: Abu Hamed Muhammad Ibn Muhammad Al-Ghazali At-Tusi (D. ٥٠٥ AH) (Beirut: Dar Al-Maarifah, No date)

٣. **Al'adab Wafununuh- Dirasat Wanaqd**, Ezzeddien Ismail (Beirut: Dar al-Fikr Al-Arabi, No date)

٤. **'Iisharat Al'iiejaz Fi Madhan Al'iijaz**, Saeid An-Norsi, Translated by: Ihsan Qasem As-Salhi, Cairo: Dar Suzler, ٦th Edition, ٢٠١١).

٥. **Alaietiqad Walhidayat 'Iilaa Sabil Ar-rashad Ealaa Mathhab As-salif Wa'asshab Alhadith**, Al-Baihaqi, Ahmed bin Kharasani, (D.٤٥٨ AH) Edited by: Ahmed Essam Al-katib, (Beirut: Daqr Al- Afaaq Ajjadidah, No date)

٦. **Al'iiejaz Albayaniu Lilqur'an Wamasayil Ibn Al-Azraq**, Bint Ash-Shati', A'ishah Muhammad Ali Abd Al-Rahman (D.١٤١٩ AH), (Beirut: Dar al-Maaref, ٣rd Edition, No Date)

٧. **'Iiejaz Alqur'an Walbalaghatu An-nabawiati**, Mustafa Sadiq Ar-Rafi'i (Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, ٨th Edition, ٢٠٠٥).

٨. **Alburhanu Fi Eulumi Alqurani**, Az-Zarkshi Muhammad bin Abdullah bin Bahadir (D. ٧٩٤ AH) Edited by: Muhammad Abu al-Fadhl Ibrahim, (Beirut: Dar al-Mearifah Wa Dar Ihya'a Al-kutub Al- Arabiah, ١٩٥٧).

٩. **Tarikh Adaab Al-Arab**, Mustafa Abdul Razzaq Ar-Raf'ii (D. ١٣٥٦ AH) (Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, No Date).

١٠. **Tarikh Al'adab Al-arabii Al-aesr Aj-jahili**, Ahmed Shawqi- the well known as: Shawqi Dhayf- (D. ١٤٢٦ AH), (Cairo: Dar Al-Maaref, No Date).

١١. **Tahthib Al–Lughati**, 'Abu Mansur Muhamad Bin 'Ahmad Bin Al'azhari Alharawi (D. ٣٧٠ AH), Edited by: Mohamed Awad Merab, Beirut: Dar Ihya'a At-turath Al- Arabi, ٢٠٠١).

١٢. **Dalayil An–nubuati Wamaerifati 'Ahwal Sahib Alshryeti**, Al-Baihaqi, Ahmed bin Hussein Al-Kharasani, (D. ٤٥٨ H), M. Edited by: Abd al-Mutit Qaleaji, Beirut: Dar al-Kuttab al-Alamiati Wa Dar Ar-Rayyan Lil turath , ١٩٨٨)

١٣. **Ar–rahyiq Almakhtum**,Sheikh Safi Ar-Rahman Al-Mubarak Furi, (Beirut: Dar Ihiyya'a At-turath Al-Arabi, ٢nd Edition).

١٤. **Fi dhillal Alqur'anei**, Sayyid Qutb (D. ١٣٨٥ AH) (Cairo: Dar Ash-Shurooq, ١٧th.Edition, ١٤١٢ AH).

١٥. **Al–Kalimaat**, Saeid An-Nurasi, Translated by: Ihsaan Qasim As-Salhi, (Cairo: Dar Suzler, ٦th. Edetion, ٢٠١١)

١٦. **Lissan Al–Arab**, Ibn Mandhour, Muhamed bin Mukrim bin Ali Al-Ansaari by Abdullah Ali Al-kabeer and Two other editors, Cairo: Dar Al-Maref, No Date)

١٧. **Lughatu Al– Qur'an Alkareem– Dirasatun Twthiqiatun**, Ahmad Omar Mukhtar, (Kuwait: Mu'asassat Kuwait lil Taqadum Al-Elmi, ٢nd Edition, ١٩٩٧)

١٨. **Allumaeat**, Saeid An-Nnursi, Translated by Ihsan Qasim Al-Salhi, (Cairo: Dar Suzler, ٦th Edition, ٢٠١١).

١٩. **Al–Mathnawiu Al–Arabiu An Nuwriu**, Saeid An-Nurasi, Translated by: Ihsan Qasim as-Salhi, (Cairo: Dar-Suzler, ٦th Edition, ٢٠١١)

٢٠. **Madarik At–Tanzili Wa Haqa'yiq At–Ta'awili**,An-nasfi, Abu Al- barakat Abdullah bin Ahmed (D.٧١٠ AH), ١٤١٩ H- Edited by: Yusuf Ali Badawai, reviewed and introduced by: Muhieddin Deeb Mesto, Beirut: Dar Al-Kalim At-Tayeb, ١٩٩٨)

٢١. **Madkhil illa Ieajaz Al–Qur'an**, Mahmoud Ahmed Shaker, (Cairo: Mattba'at Al- Madani, ٢٠٠٢)

٢٢. **Muetarik Al'aqran fi 'Iiejaz Al–Qur'an**, Abdul Rahman bin Abi Bakr As- Suyuti (D. ٩١١ AH) Edited by: Ali Mohammed al- Bajjawi, (Cairo: Dar al- Fikr al- Arabi, No Date)

٢٣. **Almue'jiza AlKubraa Al– Qur'an**, Abu Zahra, Muhammad Ibn Ahmad (D. ١٣٩٤ AH), Beirut: Dar al-Fikr al-Arabi, No Date)

٢٤. **Maejam Maqayis Allughati**, Ibn Fares, Ahmed bin Fares bin Zakaria (D. ٣٩٥ AH) Edited: Aebdul Salam Mohammed Haroun, Beirut: Dar al-Fikr, ١٩٧٩)

٢٥. **Almufasil fi tarikh Al–Arab Qabla Al–Islam**, Jawad Ali (D. ١٤٠٨ AH) (Beirut: Dar As-Saqi, ٤th.Edition, ٢٠٠١).

٢٦. **Al–Maktoubat**, Saied An-Nurasi, translated by: Ihsan Qasim As-Salhi, (Cairo: Dar Suzler, ٦th Edition, ٢٠١١).

٢٧. **Manahil Aleurafani**, AZ-zurqani, muhamad abd aleazim, Fawaz Ahmed Zamarli (Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, ١٩٩٥).

٢٨–*Annihayatu fi Gharaybi Alhadithi, Ibn Al-Atheir, Majd ad-Din ibn Muhammad Aj-Jazri (D. ٦٠٦ AH), Edited by: Taher Ahmad Az-Zawy, Mahmoud At-Tannahi, (Beirut: Al-maktabah Alealmiah, ١٩٧٩).